

## الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف - عليهما السلام -

أ. ليندة زاوي

جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية.

### الملخص:

تعد الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية انتشارا وظهورا على سطح النص، وهي علاقة معنوية قائمة بين عنصرين لغويين، لها أهمية بالغة في نسج خيوط الربط بين كلمات النص وجمله وفقراته، ويعيننا على فهمها السياق اللغوي، وتتحقق في اللغة العربية باستخدام أدوات محددة كالضمائر بأنواعها المختلفة وأسماء الإشارة والموصولات... الخ، وهي في النص القصصي القرآني من أكثر أدوات التماسك النصي انتشارا ومساهمة في تحقيق تماسكه، جاعلة منه كلاً موحدا يشدّ بعضه بعضاً.

### Abstract

Reference is considered to be one of the most widespread and apparent linguistic phenomenon in the text. It is a significant relationship between two linguistic elements. It has a fundamental role in creating a link between words, sentences and paragraphs that could help us in understanding the linguistic context. Reference is achieved in Arabic through using specific tools such as pronouns, determiners, relative pronouns... etc. Those who

study the Quranic text find them to be one of the most common tools that contribute in cohesion.

إن النص القرآني بصفة عامة والنص القصصي فيه بصفة خاصة يتميزان بتماسكهما وترابطهما والتحام أجزاءهما ولا أدل على ذلك مما قاله عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): "لقد أعجز القرآن العرب بمزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة برهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والثامنا وإتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم"<sup>1</sup>. ومما لاشك فيه أن هناك عناصر وأدوات ساهمت في تحقيق ذلك ومن بينها الإحالة.

الإحالة في الدراسات اللسانية الحديثة مصطلح جديد بمفهومه في مجال لسانيات النص، وقد أكد اللغويون على أنها أداة كثيرة الشيع والتداول في الربط بين الجمل والعبارات التي تتألف منها النصوص<sup>2</sup>، إذ تعد رابطا مهما له دور فعال في اتساق النص وربط أجزائه بعضها ببعض، وهي لا تخضع لقيود نحوي بل دلالي، الذي يفرض تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، ومن خلال هذا المقال نرنا إلى إبراز دور الإحالة النصية في ربط الجمل والآيات والوحدات الدلالية المكونة للنص القصصي القرآني وذلك بتسليط الضوء على بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف -

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زاوي

عليهما السلام- لذلك نطرح جملة من الإشكالات وهي كالتالي: ما مفهوم الإحالة النصية (لغة واصطلاحاً)؟ ما هي أنواعها وأدواتها، وما هو دورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني؟.

## 1- مفهوم الإحالة:

### أ- في اللغة:

جاء في لسان العرب من مادة (حول): "المُحَال من الكلام ما عدل به عن وجهه، وحَوَّلَه جعله محالاً وأحال أتى بمُحال، ورجل مُحْوَال، كثير مُحَال الكلام... ويقال أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: "المِحَال الكلام لغير شيء... والحِوَال كل شيء حال بين اثنين... حال الرجل يحول مثل تحول من موضع إلى موضع، الجوهرى: حال إلى مكان آخر أي تحول..."<sup>3</sup>.

الإحالة تعني في اللغة التغيّر والتحوّل، ونقل الشيء من حال إلى حال أخرى، وهو لا يبتعد عن المعنى الاصطلاحي الذي يحيل فيه عنصر إحالي على عنصر إشاري لوجود علاقة بينهما سمحت بالتغيّر والتحوّل.

### ب- في الاصطلاح:

تعريفات الإحالة غير محددة عند كثير من الباحثين، وتركيزهم كان على أقسامها لا أكثر، ولعل أوضح تعريف لها هو الذي ذكره آن ريبول (Anne Reboul) وجاك موشليير (Jacques Moeschler) في قاموسهما: "هي فعل لغوي يستعمل فيه المتكلم تعبيراً محيلاً قصد الإشارة إلى شيء ما في العالم"<sup>4</sup>. كما أضافا شرطاً لنجاح الفعل اللغوي

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

يتمثل في: "تطابق الشيء الذي يصوره المخاطب كمحيل عليه في التعبير الإحالي مع ما يقصده المتكلم باستعماله لهذا التعبير"<sup>5</sup>.

ولا يخرج عن هذا المعنى ما أورده "لاينز" في حديثه عن طبيعة الإحالة في قوله: "إن المتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب) أي أنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة"<sup>6</sup>.

والمعنى نفسه أورده روبرت دي بوجراند (R.A.D Beagrand) في قوله: "يتم تعريف الإحالة عادة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء من المواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"<sup>7</sup>.

وهذا يعني أن الإحالة هي عمل يقوم به المتكلم أو الكاتب، وهي علاقة معنوية بين عنصرين لغويين (داخل النص)، أو عنصر لغوي وآخر غير لغوي (خارج النص) يعيننا على فهمها السياق اللغوي للنص أو السياق غير اللغوي (المقام) مع وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، ويكون قصد المتكلم/الكاتب هو المعيار الأساس في عملية الإحالة.

## 2- أنواع الإحالة:

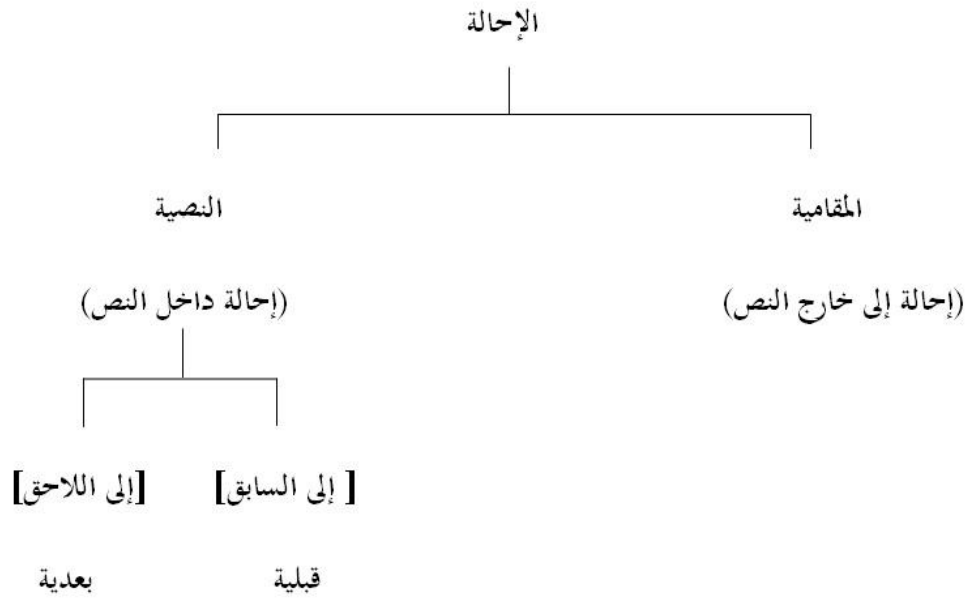
أشرت فيما سبق إلى أن الإحالة تتمثل في علاقة بين عنصرين أحدهما محيل والآخر محال إليه مع وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصرين وهذا ما دفع اللغويين إلى التمييز بين نوعين من الإحالة<sup>8</sup>:

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

أ- إحالة نصية: وتسمى كذلك بالإحالة الداخلية والإحالة السياقية.

ب- إحالة مقامية: وتسمى كذلك إحالة خارجية أي خارج النص، وقد وضع "هاليداي

ورقية حسن" (Halliday & Rhassan) أقسام الإحالة في المخطط التالي:



يمكن أن تكون أدوات الإحالة إحالتها داخلية أو خارجية، "إذا كانت داخلية فهي تحيل إما إلى السابق «anaphoric» وإما إلى اللاحق «cataphoric»"<sup>9</sup>.

ومعنى هذا أن هناك نوعين من العلاقات بين العناصر اللغوية، النوع الأول يكون العنصر اللغوي فيه مرتبطاً بما هو غير لغوي موجود في المقام، وتسمى إحالة مقامية، ويستعمل هاليداي ورقية حسن مصطلح الإحالة الخارجية (exophora) أو (exophoric) للتعبير عنها، أما النوع الثاني فيكون العنصر اللغوي فيه مرتبطاً بما هو لغوي، وتسمى إحالة داخلية أو نصية، وبهذا نكون أمام ارتباطين الأول خارجي والثاني داخلي<sup>10</sup>.

الإحالة الخارجية "تساهم في إنتاج النص لأنها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في إدماج مقطع واحد مع مقطع آخر ليشكلا جزءاً من النص نفسه، فهي إذن لا تساهم بشكل مباشر في الاتساق...."<sup>11</sup>.

أما الإحالة الداخلية فلها دور كبير في اتساق النص وتنقسم بدورها إلى قسمين:<sup>12</sup>

أ- إحالة قبلية (إحالة إلى السابق Anaphora): وهي تعود على عنصر أو عناصر سابقة داخل النص سبق التلفظ بها.

ب- إحالة بعدية أو إحالة إلى اللاحق (cataphora) وهي تعود على عنصر لاحق مذكور داخل النص.

وقد قسم الأزهر الزناد الإحالة الداخلية باعتبار المدى الذي يفصل بين العنصر المحيل

والعنصر المحال إليه إلى قسمين:<sup>13</sup>

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

أ-الإحالة ذات المدى القريب: وهي لا تخرج عن نطاق الجملة الواحدة إذ تجمع بين المحيل والمحال إليه.

ب- الإحالة ذات المدى البعيد: وتكون على مستوى النص، تربط بين الجمل المتصلة أو الجمل المتباعدة على حد سواء.

### 3- أدوات الإحالة:

وهي الأدوات التي يأتي بها الكاتب/ المتكلم للتعويض عن كلمات وأشياء داخل النص، إذ نجد "كل لغة تتوفر على عناصر تملك خاصية الإحالة بالمعنى الذي نخصه لهذا المصطلح أي أنها لا تكتفي بذاتها في تأويلها دلاليا بل تحيل على شيء آخر من أجل تأويلها دلاليا..."<sup>14</sup>.

وتتمثل هذه العناصر في اللغة العربية في الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأدوات المقارنة وفي هذه الدراسة سأقتصر على الأنواع الثلاثة الأولى لكونها الأكثر انتشارا في النص القصصي القرآني.

### 4- أدوات التماسك الإحالية وحضورها في النص القصصي القرآني.

#### أ- إحالة الضمائر.

الضمائر منها ما تكون إحالتها داخلية (داخل النص) لتقوم بدورها في تحقيق التماسك النصي وتمثل في ضمائر الغيبة إفرادا وتثنية وجمعا (هو، هي، هما، هم، هن) سماها "هاليداي ورقية حسن" أدوارا أخرى، والشيء نفسه بالنسبة لضمائر الملكية نحو:

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

(كتابي، كتابك، كتابه، كتابها كتابكم...)، ومنها ما تكون إحالتها خارجية (خارج النص) وتتمثل في الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب (أنا، نحن، أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن) سماها "هالداي ورقية حسن" أدوار الكلام، إلا أنه بالإمكان أن تكون إحالتها داخلية وذلك في الكلام المستشهد به، أو الخطاب السردى<sup>15</sup>.

إحالة الضمائر تظهر جليا من خلال تقسيم النص الذي هو موضوع الدراسة إلى وحدات دلالية وهذا ما أدركه بعض المفسرين أثناء معالجتهم للصور القرآنية المكية، إذ قسموها إلى جزئيات حسب الموضوع الذي تعالجه، وبناء على ذلك سأختار في هذه الدراسة بعض الوحدات الدلالية من قصة موسى ويوسف عليهما السلام لتكون ميدانا للتطبيق.

إن إحالة الضمير في النص القصصي القرآني تتوزع حسب أهمية العنصر في الوحدة الدلالية الواحدة الذي كثيرا ما يذكر في بدايتها ثم تعود العناصر الإحالية إليه ناسجة خيوط الربط عبر مجموعة متتالية من الجمل والآيات، وفي هذه الحالة تكون إحالة الضمائر فيها إما إلى ملفوظ سابق وبناء على ذلك تكون الإحالة سابقة، وهو ما يتضح في الوحدة الدلالية التالية من قصة موسى عليه السلام [الأعراف: 104-111]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ (108) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ



أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) ﴿١١١﴾

وهنا يتبين أن لفظ (موسى) عليه السلام وهو عنصر مركزي في هذه الوحدة الدلالية بصفة خاصة وقصة موسى عليه السلام بصفة عامة قد تقدم على كل العناصر أو المراجع الأخرى المتعلقة به ثم جاءت الضمائر بعده في الكلمات التالية:

إنّ(ي)، أقول (أنا)، جئت(ت) كم، مع(ي) (105)، كند(ت)، جئت(ت)، فأت (أنت)، كند(ت) (106)، ألقى (هو)، عصا(ه) (107)، نزع (هو)، يد(ه) (108)، يريد(هو) (110)، أرج(ه)، أخا(ه) (111).

الضمائر التي سبق ذكرها منها المتصلة ومنها المستترة تنوعت بين ضمير المتكلم والخطاب والغيبية تحيل إحالة سابقة إلى لفظ (موسى) الذي ذكر في بداية الآية (104) وهو عنصر مركزي في قصة موسى عليه السلام، وقد حلت محله في (16) موضعاً، كما أنها تتطابق جنساً وعدداً مع ما تحيل إليه إذ جعلت من هذه الجمل والآيات سلسلة متتابعة متماسكة يشد بعضها بعضاً.

ومن أمثلتها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ (60) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62) ﴾ [يوسف: 58-62].

فقد تقدم العنصر المركزي (يوسف) في هذه الوحدة الدلالية ثم جاءت بعده الضمائر لتكون إحالتها إليه سابقة وذلك في الكلمات التالية: عليه(ه)، عرفهم (هو)، له(ه)(58)، جهزهم(هو)، قال (هو)، اتتون(ي)، أن(ي)، أوفي (أنا)، أنا(59)، أتتون(ي)، عند(ي)(60)، قال(هو)، فتيا(ه)(62).

والملاحظ أن الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة أغنت عن ذكر لفظ (يوسف) في (13) موضعا مؤكدة دورها في تحقيق التماسك النصي بين الجمل والآيات المكونة لهذا الجزء من قصة يوسف عليه السلام، والشيء نفسه يقال على لفظ (إخوة يوسف).

وقد تمتد إحالة الضمائر إلى العنصر المركزي لتشمل الوحدات الدلالية اللاحقة ومثاله ما ورد في الوجدتين الداليتين الثانية والثالثة من قصة يوسف عليه السلام فالأولى تبدأ من الآية (07) إلى الآية (10): ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)﴾ [يوسف: 7-10].

تبين أن لفظ (إخوته) المذكور في بداية هذه الوحدة عنصر أساس -الضمير المتصل فيه (الهاء) يعود على (يوسف) عليه السلام- ورد أولا وبعده جاءت الضمائر المحيلة إليه إحالة داخلية سابقة المتنوعة بين (ضمير الغيبة والمتكلم والخطاب)، وقد امتدت لتشمل الوحدة الدلالية التالية (الثالثة) وذلك من الآية (11) إلى الآية (14) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا

لَهُ لِحَافِظُونَ (12) قَالَ إِيَّيَّي لِيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) ﴿[يوسف: 11-14].

والمتتبع لقصة يوسف عليه السلام يجد أن إحالة الضمائر للفظ (إخوته) لم تقف عند هذا الحد بل امتدت إلى غاية الوحدة الدلالية الخامسة التي تنتهي في الآية (18) مستغنية عن ذكره في (16) موضعا آخر، وهو حضور مكثف حقق اختصارا واقتصادا واستمرارية دلالية في أربع وحدات دلالية متتالية إذ لا يمكن للمتلقي أن يفسر هذه الضمائر دون الرجوع إلى الجملة الثانية من الوحدة الدلالية الصغرى الثانية، مشكلة جسرا رابطا بين هذه الوحدات، وهذا ما يؤكد دورها في تحقيق التماسك النصي بين الجمل والآيات، والوحدات الدلالية المكونة للنص القصصي القرآني.

أما إحالة الضمير إلى ملفوظ لاحق فهي قليلة جدا تنحصر في حدود الجملة خاصة إذا ما تعلق الأمر بالعناصر المركزية ومثالها عودته على متأخر لفظا لا رتبة وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: 67].

فالضمير المتصل (الماء) في (نفسه) إحالته لاحقة إلى كلمة (موسى) وعليه يكون لفظ (موسى) في تقدير التقديم والضمير (الماء) في تقدير التأخير<sup>16</sup>، والفاعل هنا (موسى) آخر مراعاة لفواصل سورة طه التي ختمت بالألف المقصورة، إضافة إلى أنه آخر لتشويق المتلقي لمعرفة فاعل (أوجس)<sup>17</sup>.

كما قد تكون إحالة الضمائر خارجية، ومن أمثلتها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بَايَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103].

هذه الآية عبارة عن خطاب موجه من الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار الأول مرسل والثاني متلق، لذلك نجد ضمير المتكلم الجمع (نا) في كلمة (بَعَثْنَا) و(آيَاتِنَا) يحيل إحالة خارجية إلى الذات الإلهية، وغالبا ما تكون الضمائر المحيلة إليها تتطابق معها جنسا ولا تتطابق عددا وذلك لإفادة التعظيم، كما أحال الضمير المستتر (أنت) في (انظُرْ) إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إحالة خارجية، وهو يتطابق جنسا وعددا مع ما يحيل إليه، والملاحظ أن الإحالة الخارجية في كلا الموضعين ربطت النص بسياقه الخارجي.

ومن لطائف الإحالة في النص القصصي القرآني أن تتحول من داخلية إلى خارجية ومثلها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) ﴾ [الأعراف: 104-105]. والملاحظ أن ضمير المخاطب الدال على الجمع (كم) في (جِئْتُكُمْ) يعود على فرعون وملئه؛ لفظ فرعون ذكر صراحة في بداية الآية (104)، أما لفظ الملأ - من قومه - فلم يذكر، وإنما يفهم من السياق اللغوي الذي التفت من مخاطبة المفرد في الآية (104) إلى مخاطبة الجمع في الآية (105) فلو كان المقصود به تعظيم فرعون لكان قد عظمه في بداية مخاطبته، وذلك ليلفت انتباه فرعون وملئه معا إلى حقيقة ما يقوله وما جاء به ومما سبق ذكره يتضح أن الإحالة إلى لفظ فرعون داخلية سابقة، أما الإحالة إلى لفظ الملأ من قومه فخارجية إلا أنه ذكر في الآية (109) وبعده جاءت الضمائر المحيلة إليه لتتحول الإحالة من خارجية إلى داخلية وهذا ما توضحه الآيات التالية: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَن

يُخْرِجُكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) ﴿الأعراف: 109-111﴾.

وما يلفت الانتباه في النص القصصي القرآني هو المخالفة في إحالة الضمائر وهي ما سماها البلاغيون بالالتفات، والمراد به هو التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاث (التكلم والخطاب والغيبة) إذ ينتقل كل واحد منهما إلى الآخر<sup>18</sup>.

إن الضمير في هذه الظاهرة يخالف مرجعه في النوع والعدد، ومثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: 53].

في هذه الآية الكريمة عدل الله عز وجل عن الإشارة إلى ذاته بضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم (أَخْرَجْنَا)، وحسن الالتفات هنا كما يقول ابن عاشور يكمن في: "أنه بعد أن حجج المشركين بحجة انفراده بخلق الأرض وتسخير الماء مما لا سبيل بهم إلى نكرانه، ارتقى إلى صيغة المتكلم المطاع، فإن الذي خلق الأرض، وسخر السماء حقيق بأن تطيعه القوى والعناصر، فهو يُخرج النبات من الأرض بسبب ماء السماء فكان تسخير النبات، أثر التسخير أصل تكوينه من الماء وتراب الأرض"<sup>19</sup>.

## ب- إحالة أسماء الإشارة.

أسماء الإشارة تعتبر الوسيلة الثانية من وسائل تحقيق التماسك النصي الأكثر انتشارا في النص القصصي القرآني.

إن اسم الإشارة هو: "ما وضع لمشار إليه"<sup>20</sup>، وقد صنفه النحاة العرب ضمن الأسماء إذ نجد سيبويه يقول في باب: "هذا باب مجرى نعت المعرفة عليها: "...الأسماء المبهمة

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

هذا وهذان وهذه وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك وذانك وتانك وتيك، وأولئك وهو وهي وهما وهم وهن وهذه الأسماء وما ينتصب لأنه خير للمعروف المبني وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمته<sup>21</sup>.

ويتضح من قوله أن أسماء الإشارة مبهمة لكنها تصبح معرفة، لأنها إذا استخدمت في سياق معين تشير إلى شيء محدد دون سواه، فمنها ما يشير إلى المكان (هنا، هناك...)، ومنها ما يشير إلى الزمان (الآن، غدا...)، ومنها ما يدل على البعد (ذاك، تلك...)، وكذلك على القرب (هذه، هذا...).

أسماء الإشارة شأنها شأن الضمائر، الأصل في إحالتها خارجية، لكن بإمكانها كذلك أن تكون داخلية إما سابقة أو لاحقة.

لا يخفى دور أسماء الإشارة في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني وذلك عن طريق نوع الإحالة التي تفيدها، فقد تكون سابقة أو لاحقة، كما قد تكون خارجية.

ومن أمثلة الإحالة الداخلية (النصية) ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف 141].

في هذه الآية الخطاب موجه من الله عز وجل لليهود في زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقد احتوت على اسم إشارة (ذلكم) الذي أحال إحالة سابقة على العناصر التالية: سوء العذاب، وقتل الأبناء واستحياء النساء، وقد وردت هذه الأمور في ثلاث جمل متتالية أغنى اسم الإشارة عن إعادة ذكرها، كما أنه بإحالته لما ورد قبله قام بربطه بما جاء بعده الذي يعتبر بمثابة تعليل له، محققا بذلك اختصارا وتماسكا نصيا.

ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 40].

احتوت هذه الآية على اسم إشارة (ذلك)، وإحالتها سابقة إلى (أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) أي إفراد الله عز وجل بالعبودية عن خلقه، وهو بإحالته هذه أدى إلى ربط ما ورد قبله بما ورد بعده (الدِّينُ الْقَيِّمُ) أي أن "توحيد الله هو الدِّينُ الْقَيِّمُ الذي لا خلل فيه ولا اعوجاج وهو الدِّينُ الصَّحِيح" <sup>22</sup>.

ولا بد من الإشارة هنا إلى دور اسم الإشارة (كذلك) المقترن بكاف التشبيه في تحقيق التماسك النصي، ومثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا هُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: 152].

تبين من خلال هذه الآية أن اسم الإشارة (كذلك) اقترن بالكاف ليفيد التشبيه بين طرفين، فهو بإحالته إلى الطرف الأول الذي ذكر قبله (سَيِّئًا هُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ) ربطه بالطرف الثاني الممثل فيما ورد بعده (نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) ليكون المعنى " أن الله يجازي كل مفتر مثل الجزاء الذي جازى به الذين اتخذوا العجل" <sup>23</sup>، وبذلك يكون قد ربط ما وورد بعده بما جاء قبله محققا اختصارا وتماسكا نصيا.

وقد يحيل اسم الإشارة إلى خارج النص ومثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90].

هذه الآية الكريمة مدرجة في الحوار الذي دار بين يوسف وإخوته، واسم الإشارة (هذا) الذي ورد فيها إحالته خارجية إلى (بنيامين) الأخ الأصغر ليوسف؛ لأنه وجد في السياق غير اللغوي أي لحظة التخاطب، لذلك هي إحالة خاصة بزمن التخاطب، أما بالنسبة لنا فلا نستطيع إلا أن نعتبرها إحالة داخلية لاحقة إلى لفظ (أخي) لأنها وردت في سياق سردي وعبر عنها عن طريق السياق اللغوي.

وقد تتحد إحالة اسم الإشارة مع إحالة الضمير المنفصل لتحقيق التماسك النصي، ومثاله ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 83].

تضمنت هذه الآية اسم الإشارة (أولاء) المجرد من هاء التنبيه، وإحالته سابقة إلى الضمير المنفصل (هم)، وهو بدوره عنصر إحالي يحتاج في تفسيره للنظر إلى ما سبقه يعود على لفظة (قَوْمِكَ)؛ أي قوم موسى عليه السلام الواردة في الآية السابقة: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: 83] وهذا ما يؤكد شدة الترابط الموجود بين العناصر الإحالية، التي اتضح أنها تتخدم بعضها بعضا محققة نسيجا نصيا متماسكا.

### ج - إحالة الأسماء الموصولة.

يعد الاسم الموصول كذلك وسيلة من وسائل التماسك النصي وقد عده ابن هشام من الضمائر المبهمه التي تحتاج إلى ما يوضحها، وعليه يبقى في حاجة إلى جملة بعده يتصل بها وهي صلة الموصول المعرفه له، كما يشترط أن تحتوي الصلة على ضمير يعود على الاسم الموصول ويطابقه من الناحية الشكلية والدلالية<sup>24</sup>.



تنقسم الأسماء الموصولة إلى قسمين<sup>25</sup>:

أ- الموصولات الخاصة: تدل على المفرد والمثنى والجمع وهي كالتالي:

- المفرد: ويمثله (الذي) الخاص بالمذكر العاقل وغير العاقل، و(التي) الخاصة بالمفرد المؤنث كما تستعمل للجماعة العاقل وغير العاقل.

- المثنى: ويمثله (الذان) وهي خاصة بالمثنى المذكر، وتستعمل مع العاقل وغير العاقل و(اللذان) وهي خاصة بالمثنى، وتقع في ما يعقل وغير العاقل.

- الجمع: يتمثل في (الذين واللاتي)، الذين خاص بالجماعة الذكور العاقل، وقد يستعمل مع ما ينزل منزلة العقلاء، أما اللاتي فللجمع المؤنث، وقد تستخدم للجمع المذكر لكنها تستخدم مع المؤنث أكثر.

ب- الموصولات المشتركة أو العامة: وهي (ال، أي، ذا، ذو، ما، من). و"تكون بلفظ واحد للجميع فيشترك فيها المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، ويكون كل واحد منها بمعنى (الذي) أو أحد فروعها"<sup>26</sup>، وهي لا تتطابق مع ما تحيل إليه، كما أنه لا بد من وجود قرينة تبين نوعه وتأتي على شاكلة واحدة مع كل المخلوقات<sup>27</sup>.

إحالة الاسم الموصول في النص القصصي القرآني قد تكون داخلية (سابقة أو لاحقة) كما قد تكون خارجية.

ومن أمثلة الإحالة الداخلية السابقة ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمْنُتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصَبَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه: 71].

فقد أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة سابقة على لفظة (كَبِيرُكُمْ)، والمقصود بها هنا هو موسى عليه السلام والضمير المتصل (كم) يعود على السحرة أي أن موسى هو الذي علّم السحر للسحرة حسب زعم فرعون، كما أنه ربط ما قبله بما ورد بعده وهي جملة الصلة (عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ).

ومن أمثلة الإحالة اللاحقة ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165].

الملاحظ أن هذه الآية قد اشتملت على اسمين موصولين؛ الأول (الَّذِينَ) ويحيل إحالة لاحقة إلى جملة الصلة (يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ)، والاسم الموصول وصلته (الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) المراد بهما (القوم الذين وعظوا الذين توغّلوا في المعاصي) وهو المستفاد مما ورد في الآية التي سبقتها: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ [الأعراف: 164]، أما الاسم الموصول الثاني (الَّذِينَ) فإحالاته لاحقة لجملة الصلة (ظَلَمُوا) والاسم الموصول وصلته المراد بهما: (قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ) المذكور في الآية (آ164).

إحالة الاسم الموصول قد تتجاوز حدود الجملة والآية وهي إحالة ذات المدى البعيد ولا أدل على ذلك مما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: 89]. فالاسم الموصول (ما) في هذه الآية يحيل إحالة سابقة إلى تأمر إخوة يوسف على قتله وهو ما نقلته الآيتان (9 و10): ﴿افْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

وَأَلْقَوْهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿10﴾، كما يحيل إلى اتهامهم لبنيامين بالسرقة كون أخاه قد سرق من قبل حسب زعمهم وهو ما نقلته الآية (77): ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

ويمكن القول في النهاية أنه تم الوصول إلى الغرض الذي كنا نسعى إليه من خلال ما سبق تحليله من نماذج وهو تبيان دور الإحالة بأنواعها المختلفة من إضمار وإشارة وموصلية في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني من خلال خاصيتها المتمثلة في الربط الشكلي والدلالي التي عملت على الربط بين الجمل والآيات والوحدات الدلالية المكونة للنص القصصي القرآني، كما تبين أن الوحدات الدلالية في بعض الحالات تحتاج لفهم العناصر الإحالية فيها إلى الاعتماد على الوحدات الدلالية السابقة عليها، وهذا يدل على عدم استقلاليتها وحاجتها إلى غيرها في فهمها، وهنا تتضح قدرة الإحالة على نسج خيوط الربط بين جزئيات النص لتساهم بذلك في تحقيق تماسكه النصي.

## الهوامش:

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، صحح أصله: محمد عبده، علق عليه: محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، (دط)، (د ت)، ص: 42.

<sup>2</sup> - ينظر: Van Dijk: text and context, londonited, 1977, P: 151.

<sup>3</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ح ول)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط1)، 1424هـ، 2003م، مج: 11، ص: 224، 225.

<sup>4</sup> - Anne Reboul et Jaque moeschler: dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Le seuil, 1994. p: 36.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

<sup>6</sup> - براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، مطبعة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1418هـ، 1997م، ص: 36.

<sup>7</sup> - روبرت دي بوجراندي: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، (ط1)، 1418 هـ، 1998م، ص: 172 و 320.

<sup>8</sup> - ينظر: Halliday and Ruqaiya Hasan: cohesion in English, New York, Longman, 1976, p: 33

<sup>9</sup> - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>10</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص: 31.

<sup>11</sup> - انظر: المرجع نفسه، ص: 33.

<sup>12</sup> - انظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، (ط1)، 1993م.

ص: 118 - 119، وانظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، (ط1)، 1430هـ، 2009م، ص: 165.

<sup>13</sup> - ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، (ط2)، 2006م، ص: 123، 124.

<sup>14</sup> - ينظر: Halliday and Ruqaiya Hasan: cohesion in English, P: 43

<sup>15</sup> - انظر: محمد خطايي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

<sup>16</sup> - الرمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، (ط3)، 1407 هـ، ج: 5، ص: 530.

<sup>17</sup> - ينظر: البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط1)، 1415 هـ - 1995م، ج: 16، ص: 310.

<sup>18</sup> - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الفكر العلمية، بيروت - لبنان، (ط1)، 1424 هـ، 2003م، ص: 67، 68.

<sup>19</sup> - ابن عاشور (محمد الطاهر): التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (د ط)، (د ت)، ج: 11، ص: 2647.

<sup>20</sup> - الرضي الإستبرادي: شرح كافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط2)، 1428 هـ، 2007م، ج: 3، ص: 219.

<sup>21</sup> - سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1427 هـ، 2006 م، ج: 2، ص: 5.

الإحالة ودورها في تحقيق تماسك النص القصصي القرآني دراسة بعض الشواهد من قصتي موسى ويوسف عليهما السلام ..... ليندة زواوي

<sup>22</sup> - البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، ج: 4، ص: 42.

<sup>23</sup> - ينظر: ابن عاشور (محمد الطاهر)، التحرير والتنوير، ج: 7، ص: 1645.

<sup>24</sup> - ينظر: ابن هشام الأنصاري المصري (أبو محمد عبد العال جمال الدين)، معنى اللبيب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، (د ط)، (د ت)، ص: 654.

<sup>25</sup> - ينظر: الرضي الإستريادي، شرح كافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، ج: 3، ص: 105 وما بعدها وينظر: الأشموني (أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى بن يونس): شرح الأشموني على ألفية بن مالك، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د ط)، ج: 1، ص: 127 وما بعدها، وانظر: السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، (د ط)، ج: 1، ص: 287 وما بعدها.

<sup>26</sup> - ابن هشام الأنصاري المصري (أبو محمد عبد العال جمال الدين): أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، المكتبة العصرية، 1994م، ج: 1، ص: 134.

<sup>27</sup> - انظر: السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، وعبد العال سالم مكرم، ج: 1، ص: 288، 289.